الجمعة : 27/2/2008 الشيخ الطيب محمد خير الشعال

سلسلة أسرتي

13- ((يا أخي))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

وأذكركم بالموت:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار

ترى إلى أين سيذهب بك غدا هل ستكون من أصحاب اليمين أم أن الحال غير الحال ، أتكون

من الذين اتقوا ربهم أو أن الأمر غير الأمر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ❊ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ الزلزلة:7-8

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة أسرتي وقد تحدثا فيها ((لماذا هذه السلسلة)) وتحدثنا في خطبتين ((يا بني)) أب يخاطب ابنه وأمٌ تخاطب ابنها ، وخطبتين ((يا ابنتي))، وخطبتين ((يا أبتِ)) وخطبتين ((يا أمي)) و خطبتين ((يا زوجي)) و((يا زوجتي)) وخطبة الأسبوع الماضي ((يا أخي _ أخ يخاطب أخاه)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا أخي.. أختٌ تخاطب أخاها))

فأقول بمقال هذه الأخت :

أخي ، يا ريحانةً تركها لي أمي وأبي ، أرى فيك أبي بعد أبي ، وأسمعُ منك بُحَّة صوت أمي بعد أمي ، أُسَرُّ إن كنت مسروراً ، وأحزنُ إن كنتَ حزيناً ، وكأن الذي ينزلُ بك ينزلُ بي .

ذكرّتني بِبِرِكَ وعطفِكَ وأدبِكَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأني قرأتُ في سيرته العطرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هوازن :

إن قدرتم على نِجاد – رجلٌ من بني سعد بن بكر – فلا يفلتنكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهلَه وساقوا معهم الشيماءَ بنتَ الحارث ، أُختَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، قال : فعنَّفوا عليها في السوق ، فقالت للمسلمين : تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها ، حتى أتو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إني أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضةٌ عضضتنيها في عضدي وأنا متوركتُك ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها ردائه وأجلسها عليه ، وخيّرها وقال : إن أحببتِ فعندي محببة مكرمة ، وإن أحببتِ أن أمتعكِ وترجعي على قومك فعلتُ .

قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها على قومها ، وأعطاها غلاماً وجاريةً وشاءً ونَعماً ، وقال لها في جملة ما قال : سَلِي تعطي واشفعي تشفعي .[السيرة النبوية لابن كثير] وجاء في زاد المعاد: أنها أسلمت ، وجاء في رواية الواقدي في المغازي : عرف رسول الله العلامة فوثب قائماً وبسط رداءه ثم قال :

اجلسي عليه ورّحب بها ودمعت عيناه ، وسألها عن أمه وأبيه من الرضاعة ، فأخبرته بموتهما..... وأسلمت

فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عبيد وجارية ، ورجعت الشيماء إلى منزلها ، وكلمها النسوة في نجاد ، فرجعت إليه فكلمته أن يهبهُ لها ويعفوا عنه ، ففعل .

هذا برَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأخته من الرضاع ، وهذا عطفه عليها وأدبه معها ، فما بالك ببره بأخته الشقيقة من أبويه لو كان له إخوة وأخوات من أبويه .

يا..أخي

ذكّرتني يا أخي بِبِرّكَ وعطفك وأدبِك ، بِبِرّهِ صلى الله عليه وسلم وعطفه وأدبه وأنسيتني يا أخي بِبِرِكَ هموم قصصٍ ثلاث بلغتني ، حدثت في مدينتنا .

القصة الأولى : (تصدَّق للغرباء ونسيَ أخته)

كانت سيدة فاضلة عفيفة قد جاوزت الخمسين من العمر ، ضاقت بها الأرض وعضّها نابُ الزمان ، لم تتزوج وليس من ولدٍ يعين ، لم تجد بُدَّاً من اللجوء على إحدى الجمعيات الخيرية للحصول على النفقة الشهرية الزهيدة ، وبحياءٍ شديد وحرجٍ كبير وصلت الجمعية لتطلب إضافة اسمها إلى قائمة المعونات الشهرية.

سألها الموظف المسؤول في الجمعية عن اسمها واسم عائلتها فأجابت ، وإذا هي بنتُ عائلة معروفة ، ظنَّ أن في الأمر لبساً فطلب بطاقتها الشخصية ، فأخرجت البطاقة ليرى أنها بنتُ تلك العائلة ، وازدادت دهشته عندما تذكَّر أن محسناً كبيراً كانت له اشتراكات شهرية كثيرة ترفد الجمعية الخيرية ، بل إنه يُعدُّ موئلاً للجمعية كلما زادت نفقاتها وقلّت إيراداتها ،

سأل الموظف المرأة إن كانت تعرف هذا المحسن من عائلتهم.. ؟ فأصيب الموظف بالذهول عندما أخبرته : إنه أخي ...!!

وعدَ الموظف المرأة خيراً وأخذ مفصلّ هويتها الشخصية ومعلوماتِ سكنها وطريقةَ الاتصال بهم ،

عندما خرجت ، اتصل مباشرةً بهذا المحسن ليسأله عن صلة قرابته بامرأةٍ اسمها كذا وكذا ..، أبوها فلان وأمها فلانة فأجاب : إنها أختي ..

قال الموظف : يا رجل اتقِ الله في رحمك ، لقد جاءت أختك للجمعية اليوم تطلب المساعدة الشهرية منا ..فأين أنت منها ؟!

أرأيت يا أخي كيف نسي هذا الأخ قول الله تعالى ﴿ **وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴾ [الأحزاب:6]

هذه الآية وإن كانت تتحدث عن الميراث ، إلا أن لفظها عامٌ يُخبر أن الأقربين أولى بالمعروف من الأبعدين ، وأن ذا الرحم أولى من غيره بالبرِ والصلة.

أنسي هذا الأخُ قول الله تعالى : ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ الإسراء:26

وقوله تعالى : ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**﴾ البقرة:83

وقوله تعالى : ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى** ﴾ النور:22

أنسيَ هذا الأخُ الآية التي يقرؤها كلُّ خطيب على كلِّ منبر في كلِّ يوم جمعة ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ النحل:90

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية :

إنما خصَّ ذا القربى لأن حقوقهم أوكد ، وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه ، وجعل صلتها من صلته فقال في الصحيح : ((أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك)) ولا سيما إذا كانوا فقراء .

وقال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ الإسراء:26

المعنى أنك بعد فراغك من بر الوالدين ، يجب أن تشتغل بِبِر سائر الأقارب ، الأقرب فالأقرب ، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((برَّ أمك وأباك وأختك وأخاك ، ثم أدناك فأدناك)) [الحاكم]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

((عن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب)) [الحاكم]

وهذه هي القصة الأولى ((تصدق للغرباء ونسي أخته))

القصة الثانية : (أطاع زوجته في أختيه)

سيدتان عفيفتان جاوزتا الستين من العمر ، غير متزوجتين ، جاءتا شيخاً على استحياء ، يدفعها الحب لأخيهما ، ويؤخرهما الخوف على مشاعره ، جاءتا تقول :

تزوج أخونا الوحيد ، والذي ناهز الخامسة والخمسين والذي يساعدنا في النفقة ، ونحن ممتنان له أشد الامتنان ، تزوج زوجة ثانية ، ويبدو أن زوجته الثانية مستاءةً منا ، ونراها توقعُ بيننا وبينه خصاماً ولعلها تحدثه على لساننا حديثاً لم نقلهُ أو تخبره بأعمالٍ عنا لم نعملها .

وأخونا الذي نحبُّ ونحترم يحضر في مسجدكم – أيها الشيخ- نرجوك ، نرجوك ، ونحن لا نريد أن تعرف من نحن ولا من هو ، لكننا نرغب إليك ونرجوك أن تتحدث بشكلٍ عام ، عن عدم هجر الأخ لأخواته البنات ، والتحقق – إن كان لا بد فاعلاً – من كلام الزوجات في الأخوات ، ولسنا نريد منه – إن شاء بعد اليوم – إلا المودة في القربى .

خرجت السيدتان اللتان لم يعرف الشيخ لأي أسرة تنتميان ، ولا من هما ، ولا من أخوهما ، لكن بكى لأدبهما وحيائهما وحفظهما لمشاعر أخيهما الذي لم يحفظ صلة القربى لهما .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخوات ، أو بنتان أو أختان ، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة)) [أبو داود والترمذي]

وفي رواية الطبراني :

((من عال ابنتين أو أختين أو خالتين أو عمتين أو جدتين فهو معي في الجنة كهاتين)) وضم السبابة والتي على جنبها .

ألا أيها الإخوة اتقوا الله في أخواتكم البنات والنساء ، واستوصوا بهن خيراً .

القصة الثانية (أطاع زوجته في أختيه)

القصة الثالثة : (اعتدى على حق أخته في الميراث)

ورث أحمد وخالد مع أختهما رجاء معملاً من أبيهما ، باع أحد الأخوين حصته لأخيه في المعمل ، بقي أخٌ يملك النصيب الأكبر في المعمل مع أخته ، عرضَ عليها شراء حصتها بمبلغٍ معين فأبدت استعدادها للبيع ، لكنها رأت أن السعر المعروض قليل ، استشارت أهل المعرفة العقارية والتجارية فَأخبِرت أن السعر المعروض قليل .

أبى الأخ أن يدفع لأخته إلا ما دفع ، وإن لم توافق فسوف يستثمر المعمل كاملاً لمصلحته ولن ينفعها بشيء وعليها أن تراجع دوائر القضاء .

أرادت ألا تزعج أخاها ، فأعلمته أن رجلاً غريباً جاهزاً لشراء حصتها بمبلغٍ معين وإنها على استعداد لبيع أخيها لا الرجل الغريب الحصةَ بمبلغٍ أقل من المبلغ الذي سيدفعه الرجل ، لكن فوق سعره الذي عرضه أولاً .

بقي الأخ مصراً على موقفه ، متمسكاً بظلمه متعنتاً برأيه ، فهو لن يدفع أكثر مما دفع أولاً وإلا فلقاؤنا في القصر العدلي .

تُرى هل نسي هذا الأخ أن محاكم الأرض ربما تُنصف وربما لا تُنصف ، لكن محكمة السماء سَتُنصف بلا ريب المظلوم من الظالم .

تُرى هل نسي هذا الأخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقه يوم القيامة من سبع أَرَضين)) [متفق عليه]

ومعنى طُوِّقه يوم القيامة : أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ، يكون كالطوق في عنقه.

تُرى هل ينسى هذا الأخ إذا ورث مع أخته شيئاً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إني أُحَرَّج عليكم حق الضعيفين : اليتيم والمرأة)) [النسائي وابن ماجه]

ومعنى أُحرِّج : أُضيِّق وأُحَرْم على من ظلمهما ،اليتيم والمرأة .

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ابغوني الضعفاء ،فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم)) [أبو داود والنسائي]

ومعنى الحديث :

اطلبوا وتقربوا إلي بالتقرب إلى الضعفاء من نساء وأطفال ورجالٍ ضعاف وذلك بتفقد حالهم وحفظ حقوقهم والإحسان إليهم قولاً وفعلاً واستنصاراً لهم .

فإنما ينصركم الله على عدوكم ،ويزيد الله في أرزاقكم ببركم لضعفائكم.

هذه هي القصة الثالثة ((اعتدى على حق أخته في الميراث))

۞ يا..أخي

أحمد الله تعالى أن رزقني أخاً باراً مثلك ، يرعى قرابتي وصلتي ، ويحفظ مودتي ، ويعينني في نفقتي .

أخي أنت لي نفحةٌ من حنان أخي أنت لي نسمةٌ من أمان
وآمال قلبي ومشعال دربي وأنت ضياء المدى والزمان

التوقيع أختك المحبة

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

والحمد لله رب العالمين